عدنان حلواني: مفقود إلى أن نبني الوطن

د. حسن جوني*

على الرغم من انك لم تكن طويل القامة، عريض المنكبين، كان لك حضور كبير مميز وعملاق.

أثناء الأحداث الأليمة التي عصفت بوطننا الحبيب، كنا كسائر التلاميذ، نبحث عن حجة للتغيّب عن الدروس. كنت تجمعنا واحدا واحدا تدفعنا للدخول الى الصفّ كي لا تفوتنا مناسبة التلقي والتحصيل.

كان لدروسك وجهان، لم تخلط بينهما. وجه أكاديمي كنت تحرص عليه لكي نكون من المتفوقين علميا، لم تبخل فيه علينا بما أوتيت من علم. ووجه وطني سياسي، كنت تحرص أيضا فيه ان تزرع فينا حب الوطن والتفاني في سبيل إنسانه، كنت بذلك مصنعا تنتج أجيالا وطنية غير طائفية.

أثناء توليك مسؤولية في القطاع التربوي على شطر محدد من بيروت، وخلال الامتحانات الرسمية كنت رافضا مقولة، هنا وهناك، ورافضا مبدأ المساواة في الجهل كماً ونوعاً.

حرصت آنذاك، على ان تكون التربية الوطنية ذات مضمون حقيقي، وان تكون المعارف اسما على مسمى.

دروسك ما زالت في الذاكرة كلها، الاكاديمية والوطنية، إلا انني أكثر ما أذكر من درس الجغرافيا، تلك المحاضرة التي شرحت لنا فيها، أهمية مصدات الرياح، حيث تتم غراسة الاشجار كي تحمي المزروعات والسنابل.

هكذا كنت شجرة انتصبت في وجه رياح الجهل والطائفية التي عصفت بوطننا وحاولت ان تقتلع السنابل التي زرعت واستقامت على عودها، ليس فقط في ثانوية الظريف وانما في كل أرجاء الوطن.

لذلك تعلّقنا بك وأحببناك، وإننا مخلصون لذكراك، فمن أحبك أحب الوطن وأحب فقراءه وكادحيه وكسبته. ومن دافع عنك، يدافع عن الوطن، ومن خطفك فقد خطف الوطن، وعن قصد. فمن يجرؤ، اليوم، إن يعلن أنك لن تعود، وأنك قد اغتلت، نحن لا نعتقد ان الوطن يُغتال.

* أستاذ في كلية الحقوق والعلوم السياسية ـ الجامعة اللبنانية.